

6

صحيح البخاري (٩)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِنَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ } (١٠٢) [آل عمران].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (١) [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) } [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا قد تكلمنا في اللقاء السابق في باب (فضل من علم وعلم)

ونذكرنا الحديث

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلْمَ وَعِلْمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، قَاعٌ يَعْלוهُ الْمَاءُ، وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ" أخرجه البخاري (٧٩).

ذكرنا في اللقاء السابق أول طائفتين (مقربون_ مؤمنون) نص عليهما الحديث وتوقفنا عند الطائفة الثالثة واليوم نوضح صفات هذه الطائفة. وأما الطائفة الثالثة وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدي الله ولم يرفعوا به رأسا فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية.

فالطبقة الأولى أهل رواية ودراية .. والطبقة الثانية أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية بل حفظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية **{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**

{(٤٤)} [الفرقان].

وما أكثر هؤلاء الآن فهم يعيشون في الدنيا ولا قيمة لهم، لقد خذلهم الله عز وجل لأنهم ركنوا إلى الدنيا فلا هم فهموا عن الله ولا هم حفظوا شيء من دين الله، وبالتالي فهم لا يدرون لماذا جاءوا؟ هذا هو الفساد في التصور الذي أصاب أكثر المسلمين، فلا يدري أحد لماذا جاء وما الذي يُريده؟ فالنوايا غير صافية والقلوب ليست مُذعنة لله سبحانه وتعالى كما أمر وبالتالي أصبحت المسائل مُشوشة.

فهم الذين يضيّقون الديار ويغلون الأسعار إن همّة احدهم إلا بطنه وفرجه فان ترقّت همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته (مثلما يفعل الشباب والفتيات الآن فكل ما يشغلهم هو اللباس والمظهر ولا يعينهم إن كان هذا اللباس يرضي الله أم يُغضبه؟ فالمشاهد اليوم أن الشباب يُضيعون الأوقات أمام المرأة كما تفعل النساء.

فإن ترقّت همته فوق ذلك كان همه في الرياضة والانتصار للنفس الغضبية.

وحتى لو ارتقت همته وترك الفرج والبطن واللباس والزينة (الشهوات) وسار بعض الخطوات على طريق الدين، هنا تتجه الهمة نحو الرياضة والسيطرة والاستحواذ والكبر الذي يُرى بين طلاب العلم، فإذا بحثنا عن سبب ذلك نجد أنه يكمن في انعدام الفهم والعلم والدراية الذي أوجد بدوره الفساد في التصور، فلا يعلم أحد ماذا يُريد؟ ولماذا جاء إلى هذه الدنيا؟

قال تعالى: **{ بَلِ ادْرَاكِ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ**
مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) } [النمل]

الإدراك والتصور ليسا حاضران عند الكثير من المسلمين ولذلك فهم ينتقلون من حال لآخر ومن سيئ لأسوء، ينتقل من حال الشهوات (الدنيا _الطعام_ اللباس_المظاهر)، فإذا ما ارتقى الشخص وترك هذه القصة ودخل في طلب العلم فإنه يكون ارتقاء في الظاهر حيث يبدو أنه تخلص من هذه الأمور الشهوانية ولكنه ارتقى إلى الأسوأ بانتقاله إلى حب الرياسة والسيطرة والاستحواذ والنفس الغضبية التي تغضب وتنتصر لنفسها في أقل مشكلة، وهذه الجزئية ظاهرة جدًا لا تحتاج إلى إيضاح ولينظر أي واحد منا إلى حال نفسه إذا ما أساء إليه غيره، تلك هي النفس الغضبية التي بداخلها منازعة لله سبحانه في ربوبيته **{ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ**
الْأَعْلَى (٢٤) } قالها فرعون وعمل بها غيره، فلا يتكلم أحد معه إذا تكلم، ولا يُسمع إلا منه، هذه النفس لا تُسامح غيرها أبدًا فهي لا تعفو عن مَنْ أساء إليها ولا تعرف إلى كظم الغيظ سبيل، فكيف يكون هذا مسلمًا؟

كما قال ابن القيم: لا فهم ولا رواية ولا دراية، والاسم أنه دخل تحت مظلة أهل العلم بلباس طالب العلم أو بالزّي الشرعي الخاص بالرجال أو النساء وسار بهذا الشكل ولكنه ساعة الاختبار أو الإسقاط على أرض الواقع فإن هذه النفس تظهر على حقيقتها.

فإن ارتفعت همته عن نصره النفس الغضبية كان همه في نصره النفس الكلبية فلم يعطها إلى نصره النفس السبعية، تقنع بذلك بل تقهر النفوس تريد الاستيلاء عليها بالحق والباطل.

والنفس السبعية كما وصفها العلماء: هي التي لا ترتاح ولا تهدأ حتى تقهر كل من حولها، فالناظر إلى الحيوان المفترس الشرس بطبيعته الأسد-النمر يرى أنه لا يهدأ إلا بعد أن ينقض على الفريسة ويأخذها، أما إذا قدم له الطعام من غير أن يُصارع هو فإنه لا يهدأ، وهذه هي النفس السبعية التي لا ترتاح إلا بالانقضاء على الآخر والانتصار عليه والضغط عليه وإهلاكه، وهذا الأمر يُرى في الكثير من الرجال حين يتزوج من امرأة طيبة لينة فإنه يعمل على طحنها ويتقنن في الضغط عليها سواء بالضغط المادي أو المعنوي فلا يرتاح إلا عندما يراها مقهورة، وهذه النفس سيقهرها الله عز وجل في الدنيا قبل الآخرة ذكر أيضاً النفس الكلبية: وهي التي لا تريد الانتصار أو الانقضاء على الآخر ولكنها نفس خسيصة دنيئة.

قال تعالى: **{ وَكَلِمَاتُنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) }** [الأعراف]

فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقدرة، وكذلك بعض النفوس تتصف بما يتصف به الكلب من دناءة المقصد وحقارته، يضيع العمر

وينفضي والمُحصَّلة لا شيء، وهذا هو ما عليه الكثير من المسلمين، فلو حاولنا أن نبحث في أحوال الناس رجالًا كانوا أو نساء لرأينا الآتي:

الفقراء الذين لا يملكون شيء (أهل القرى _ النجوع_ المناطق الشعبية) هؤلاء بالكاد يجدوا قوت يومهم ومع ذلك فلا يوجد بيت من بيوت هؤلاء يخلو من التلفاز وكذا جهاز (الدَّش) هؤلاء خسروا خسران مبین فلا هم أصابوا الدنيا ولا هم عملوا للآخرة، فلم يأخذوا من الدنيا ولم يعبدوا الله ويحققوا العبودية فينالوا الآخرة، هذه هي النفوس الكلبية التي ترضى بأي شيء ولو كان حقيرًا دينيًا، كل هذا يحدث نتيجة عدم الفهم عن الله سبحانه وتعالى.

النفوس الغضبية والسبعية والكلبية كلها تتدرج تحت الصنف الثالث الذي قصده النبي ﷺ "إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَتُبْتُ كَأَنَّ".

-قِيعَان: مستوية، فلا هو انتفع بالعلم ولا نفع غيره.

هذه النفوس الكلبية والسبعية والغضبية لم تستفد بالوحي ولم تنظر في أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ، فكانت النتيجة أن كل هؤلاء خسروا خسران مبین لأنه يوم خروجه من هذه الدنيا سيحاسب على كل صغير وكبير قدمته يداه إذا ما وقف بين يدي الله عز وجل.

قد يسأل سائل ربما لم يصل كلام النبي ﷺ (أي الوحي) لهذا الشخص فما
الحال؟

مَنْ قال هذا؟ لا أحد من أفراد هذه الأمة يُعذر لماذا؟

ليس هناك أحد في بلاد المسلمين يسمع الأذان خمس مرات في اليوم
الواحد ثم يُقال عنه أنه ضيق الفهم وغير مُدرك لهذا الأمر، هذه أمور
معروفة من الدين بالضرورة وليست محتاجة إلى تعريفها أو إلى إقامة
الحجة (الصلاة_الصيام_الكذب_الغش_الزنا) فتلك أمور لا تحتاج في
معرفتها إلى دروس علم، ولكنها بالفطرة جُبلَ الإنسان على معرفة
الحلال والحرام فيها، فإذا ما وقع في الحرام منها فهو على علم أنه وقع
في الحرام.



وأما الملكية: (وهو الصنف الثاني من القسم الأول) فقد ارتفعت عن ذلك
وشمرت إلى الرفيق الأعلى، ففهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى
والإنابة إليه وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ من
لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتتقطع به عنه.
هذا الصنف ترك الدنيا ولم ينظر إليها بل أنه لم يلتفت إليها لا بالقول ولا
بالعمل ولا بالقلب، فلم يُعَلِّقَ أي شيء من هذه الأشياء بالدنيا، هؤلاء القوم
هم الأخيار الأطهار الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من بين العباد

ليكونوا خاصته وصفوته، فهم أفضل الناس على الإطلاق، وعلى طالب العلم أن يعمل على أن يكون من هؤلاء فيسعى ويجتهد ويجعل همه ينصب على أن يكون من هؤلاء لماذا؟ لأن الله عز وجل ميّز طالب العلم بميزة لم يُميز غيره بها، فهو يسمع ويتعلم عن الله عز وجل في حين أن غيره الآلاف محرومون ومعرضون عن هذا الفضل وتلك النعمة فذاك رزق رزقه الله إياه، ولذلك فينبغي عليه أن يُشمر لعمل حُرِّم منه غيره وإلا انعدمت قيمة العلم وتعذر على صاحبه الانتفاع به.

فيكون التشمير والسعي وعمل أعمال بدلا من الكبائر الذين انخلعت قلوبهم من الدنيا وتعلقت بالله سبحانه وطهرت نفوسهم، واستدارت وجهتهم للأخرة بدلا عن الدنيا لأنهم علموا شأنها وحقارتها ومدى خطرها ومدى حقارتها، ولم يأخذوا منها إلا ما يُقيم حياتهم فلم يلزمهم منها أكثر من هذا، لقد تركوا فضولها حتى لا يُحاسبوا عليه.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: «مَالِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مَالُ مَوْلَاكَ؟» قَالَ: مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ، مَالِكَ لَكَ وَلِلْوَارِثِ وَلِلثَّرَى فَلَا تَكُنْ شَرًّا **الثَّالِثَةَ**» أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني(٢٤).

مسألة ضرب الأمثال مهمة جدًا نظرًا لأنها تُقرب المعنى، فكثيرًا ما جاء في القرآن ضرب للأمثال كما جاء أيضًا في السنة لتقريب المعاني

وتوضيحها، وكم من إنسان لا يفهم المعلومة حين يسمعها أو يتلقاها جامدة فإذا ما ضُرب له المثل فإنه يُدرك المعنى ويفهمه ويعيه قلبه.

يقول الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس.

ودرستنا لكتاب العلم في البخاري توجب على مَنْ يدرسه أن يعرف قيمة هذا العلم، وعليه أيضاً أن لا يستبدل هذا المجلس العظيم الذي يتلقى فيه العلم بشيء هو أدنى في قيمته مهما كانت الصعوبات التي تواجهه في هذا المجلس لماذا؟

هذه الدروس تُغير صاحبها لأن العلم يُغير حال صاحبه، هذه الدروس بالفعل لا يُقال فيها بعض مما يُقال في دروس الرقائق ولكن العلم في حد ذاته يُغير القلوب، أما سماع دروس الرقائق من غير سماع دروس العلم الرصين فإن هذا لن يُجدي ولو ظل السامع على هذا الحال أعوام من السماع، فالعلم كما قال الإمام أحمد نحن نحتاج إليه في كل نفس لأنه يوضح كيفية أداء كل طاعة وعبادة أمرنا الله بها (فالتسبيح يحتاج إلى العلم وإلا كان المُسَبِّح على بدعة_ وذكر الله يحتاج إلى علم لأن الذكر يمكن أن يكون ذكر مبتدع فيُهلك صاحبه وهو يظن أنه ذاكر لله_ الصلاة_ الصيام) في كل نفسٍ يحتاج العبد إلى العلم، فلن تستقيم عبودية الإنسان لله بغير علم.

- كيف للإنسان أن يعبد الله على الحقيقة ويُجرد التوحيد ويعبد الله على بصيرة وهو لا يعلم أسمائه وصفاته؟

- كيف يُجرد التوحيد وهو لا يعلم شيء عن الربوبية؟

- كيف يُحقق العبودية وهو لا يعلم من هو الله؟ فإذا كان يعرف مَنْ هو الله وعرف أسمائه وصفاته بعد أن درس العقيدة فكيف يعبد الله على بصيرة وهو لا يعلم أي شيء عن الفقه؟

- قام الشخص للصلاة فكيف يُصلي (السجود_الركوع)؟

- أراد أن يُزكي فكيف سيُخرج زكاة ماله؟ الدين كله يحتاج إلى علم، ومن غير العلم يضل الناس ويضيعون وما أكثر أهل الضلال الآن على الساحة،

فالعوام يتقلبون في الشهوات والغفلة واللهو، هؤلاء باعوا القضية واستبدلوا الآخرة بالدنيا.

أما طلاب العلم الذين يجلسون لتلقي العلم فإذا لم يكن هناك علم رصين فإن الطالب سيخرج من المجلس في ضياع، الكل يحتاج إلى العلم فهو غاية في الأهمية فبه يُصلح العبد أمر دينه ودنياه.



ينتقل المصنف بعد ذلك إلى باب آخر وهو

بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ

مقصود الباب هو: الحث على تعلم العلم لأن العلم لن يُرفع إلا بقبض العلماء، ولن يُقبض العلماء بالكلية إلا إذا وصل حال الناس من الفساد والضلال والإعراض إلى أن العلم لا يُجدي معهم.

وإذا انتبهنا فسنرى المراحل التي مر بها المسلمون منذ أن قبض النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فمنذ هذه الفترة والمسلمون في نزول، فما هو السبب وراء هذا النزول؟

السبب هو: ليس قبض العلماء لأن قبضهم هو عقوبة لأهل زمانهم ولهذا فإننا دوماً ننبه على عدم الشكوى من الحاكم أو المتولي للشأن سواء أكان (المدير_الزوج_الحاكم_الشيخ_المتولي للأمر أيًا كان) لأن الواجب أن نبحث عن أحوالنا نحن فكيفما كنا سيؤلى علينا، فعلى قدرك أيها الإنسان ستُعطي من عطاء الله (الزوج_الزوجة_المدير_الحاكم_الشيخ على اختلاف صورهم) على قدر العباد يُسلط عليهم ما يستحقونه، يُسلط على الناس أنواع العذاب بما يستحقونه وبما كسبت أيديهم.

مثال: يشتكي الناس من الغلاء والأسعار والأموال القليلة وهل بحثنا في أحوالنا لنعلم ما هو السبب في ذلك؟

الرد: الله عز وجل يعامل العباد بمعاني أسمائه وصفاته سبحانه (أرحم
الراحمين_الحليم_الودود) ولو لم تكن له هذه الصفات لاستحق الكثير من
المسلمين أن يُخسف بهم الأرض، فلماذا نُرزق؟ ولماذا نأكل أو نشرب؟
فكل أنواع المعاصي يقترفونها، فينام الكثير من الخلق ويقومون وهم
يعصون الله فلا تتفك عنهم ليلاً كان أو نهاراً بلا استحياء ولا خوف بل
يُجاهرون بها، ومع كل هذا فإن الحليم يُطعمنا ويسقينا وهذا من نعمته
التي أنعم بها على عباده فلم يحرمهم نظير ما اقترفته أيديهم، فلا يشتكي
أحد من الغلاء لأنه أقل عقوبة أنزلها الله لأنه أرحم الراحمين ويمكن أن
تكون هذه رحمة لأن هناك بعض الصالحين على الأرض ممن يعبدون
الله.

مَنْ قام برفع الأسعار والأثمان هو بشر لا يملك شيء ولكنه سُلط على
مَنْ هم تحت إمرته، والذي تسبب في عنوسة الفتيات هو الذنوب
والمعاصي التي يقعن فيها(التبرج_السفور_العري_الانحلال الأخلاقي
الذي أصاب الكثيرات منهن)، والسبب في انتشار الأمراض التي لم تكن
نسمع عنها منذ وقت قصير هو أفعال الناس حتى الأطفال يُصابون
بأمراض لم يكن يتخيل شخص أنها تُصيب الأطفال فلم يكن يصاب بها
الكبار ولكننا أصبحنا نرى أن الصغار يُصابون بها (السرطان) وما كان
هذا إلا بالذنوب التي وقع فيها الآباء والأمهات، فكثرة الذنوب حدثت
نتيجة الجهل فالناس لا يعرفون مَنْ هو الله؟ هم يعبدون إلهً لا يعرفونه؟

وبالتالي فهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع الله فتجرؤوا عليه بالمعاصي
وسقطوا في مستنقع الذنوب فنزل عليهم النكال والعذاب، وهذا قليل من
كثير فلم ينته الأمر بعد وستتوالى العقوبات إن لم يعد الناس إلى دينهم،
لكتاب ربهم وسنة نبيهم كما قال النبي ﷺ، ومن ضمن صور العذاب رفع
العلم فلماذا؟

لأن طالب العلم اليوم يعاني أشد المعاناة حتى يصل إلى المعلومة
الصحيحة، فالعلماء أصبحوا قلة قليلة، ومقارنةً بأحوال السلف نجد أن
هؤلاء عندما يقرأ في سيرهم نرى أن أحدهم يُذكر عنه أنه تلقى العلم عن
مائة شيخ، وهذا عن خمسمائة، وذاك عن ثمانمائة، وهكذا حتى أن الإمام
البخاري قال: التقيت بألف عالم في الأمصار وكلهم يقولون كذا في عقيدة
أهل السنة والجماعة، في حين أن طالب العلم اليوم حتى يصل إلى عالم
يُشار إليه بالبنان فإنه يعاني أشد المعاناة حتى يصل وإذا وصل إليه فإنه
لا يُعطيه إلا النذر اليسير وينتهي الكلام، ولهذا فإنه لا يُحصّل منه علم
(هذا من أنواع العذاب والشقاء الذي سلّط على الناس بسبب الذنوب
والبُعد) فرفع العلم من علامات الساعة وسنظل في نزول وانحدار إلى أن
نصل إلى مرحلة انعدام العلم بالكلية في نهاية الزمان فيرفع العلم بالكلية
بقبض العلماء.

فإذا ما كان هناك البعض منّا مازالوا يبحثون ويُقدّمون على مجالس العلم
حتى يسمعون وينتفعون فإن الله سبحانه وتعالى لن يرفع العلم بالكلية،

ولكن لا شك أن العلماء قلوا في هذا الزمان والمقصود بالعلماء هو:
علماء أهل السنة والجماعة الذين هم على بصيرة المتصفون باتباع سنة
رسول الله ﷺ ، نعم: يوجد علماء ولكنهم قلة قليلة إذا ما قارناهم بالسلف
الصالح مع ازدياد أعداد البشر الآن.

وقال ربيعة: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيءٌ من العلم أن يضيع نفسه.

- ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت
أبو عثمان
ويقال : أبو عبد الرحمن القرشي التيمي، مولاهم المشهور بربيعة الرأي،
من موالى آل المنكدر.

كان هذا الإمام فقيهاً يكثر الاجتهاد، وهو شيخ الإمام مالك أحد الأئمة
الأربعة أصحاب المذاهب.

قال مطرف: سمعت مالكا يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة.

فما هو مقصود الربيعة من هذا الكلام كما ذكر الحافظ بن حجر؟

أن من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغي له أن يهمل نفسه فيترك
الاشتغال بالعلم، لئلا يؤدي ذلك إلى رفع العلم.
أو مراده الحث على نشر العلم في أهله لئلا يموت العالم قبل ذلك فيؤدي
إلى رفع العلم.

أو مراده أن يشهر العالم نفسه ويتصدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه.
وقيل مراده تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضاً للدنيا.
والمراد الأول يعني: أن الإنسان قد يُحصّل شيء من العلم ثم ينساه ثم
يُحصّل مرة أخرى وينسى أيضاً فلماذا؟ بسبب الانشغال بالدنيا والنفس
فينسى العلم، ولذلك فإنه ينبغي لمن كان عنده نصيب من العلم أن لا
ينشغل بنفسه حتى لا يلتفت إليها فيذهب العلم.

فأمر العلم غالي لأنه نورٌ من الله وهو أعظم شيء في الدنيا وإذا لم ينتبه
صاحبه له فسيضيع، والعلم عزيز فإذا لم يشعر صاحبه بقيمته فإنه سيفر
منه، فالعزيز لا بد أن يكون له استقبال واهتمام ورعاية وعناية خاصة به
حتى يبقى، فإذا لم يُعامل بهذا الاهتمام فسيرحل ولا يعود ثانيةً.

فحفظ العلم يكون بالآتي: حفظ اللسان من اللغو_حفظ الجوارح من
المعاصي_حفظ النفس من الوقوع في شهوات العوام وإلا سيضيع العلم.

المراد الثاني بكلام ربيعة: أن الإنسان إذا كان عنده علم رصين صحيح
فعلية أن يُسرع في إبلاغه للآخرين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً

المراد الثالث: أن يشهر العالم نفسه ويتصدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه.

فهل معنى ذلك أنه يجوز أن يتكلم شخص عن نفسه؟

قيل نعم: يجوز للعالم إذا خرج على العوام وهم لا يُقدّرون قيمته أن يذكر
ما عنده من مزايا ومناقب وعلم ومُصنّفات ومؤلفات فلماذا؟

لأن العوام لا يستطيعون التمييز بين العالم وغير العالم ففي هذه الحالة
كما أورد الإمام ابن حجر وغيره من العلماء أنه يجوز للعالم أن يتكلم
عن نفسه ولا يُعد هذا من باب التزكية ولكنه من باب إرشاد العوام إلى
أن هذا الشخص عنده علم وينبغي التلقي منه أو السماع.

كما قال ابن مسعود: لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَضْرِبُ
إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.

وليست هذه تزكية من ابن مسعود لنفسه ولكنه يُخبر من حوله أنه أكثرهم
فهمًا لكتاب الله ولو أنه يعلم أن أحدًا في الدنيا يعلم في كتاب الله (التفسير)
أفضل منه لذهب إليه ليأخذ عنه.



عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ
أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُنْبَتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ
الزَّيْنُ» أخرجه البخاري (٨٠)

يتكلم الحديث عن أشراف الساعة: ومنها رفع العلم

يقول ابن الجوزي: يرفع العلم بشيئين :

١- بموت العلماء كما جاء في حديث عبد الله بن عمر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ

يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا
جُهَالًا، فَسَنَلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» أخرجه البخاري (١٠٠)، أخرجه
مسلم (٢٦٧٣).

يَبِّنُ الْحَدِيثُ أَنَّ نَزْعَ الْعِلْمِ لَيْسَ بِنَزْعِهِ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ وَلَكِنْ بِقَبْضِ
الْعُلَمَاءِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا رُءُوسُ جُهَالٍ.

٢- وَإِمًا بِخَسَاسَةِ الْهَمِّ وَالْقَنَاعَةِ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا.

فَالْهَمَّةُ تَكُونُ ضَعِيفَةً وَدُنْيَا شَأْنَهَا كُلُّهُ حَقِيرٌ وَمَعَ هَذَا يَوْجَدُ مِنَ الْبَشَرِ مَنْ
يَمِيلُ لَهَا وَيَرْضَى بِالذُّونِ مَعَ قِصَرِ عَمْرِ الْإِنْسَانِ فِيهَا، فَاهْتِمَامُهُ بِسَفَاسِفِ
الْأُمُورِ وَالانْتِشَاغِ بِهَا رَغْمَ حَقَارَةِ شَأْنِهَا، هُنَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ حَتَّى لَوْ كَانَ
الْمُنْتِشِغِلُ بِالدُّنْيَا صَاحِبَ عِلْمٍ.

تُوفِيَ ابْنُ الْجُوزِيِّ سَنَةَ (٥٩٧) آخِرَ الْقَرْنِ السَّادِسِ يَتَحَدَّثُ عَنِ خَسَاسَةِ
الْعِلْمِ، فَيَقُولُ: ذَلِكَ أَنْكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مِنْ سَبْقِ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَأَيْتَ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ لَهُ مِنَ الْعُلُومِ وَيُرْتَقِي فِيهَا.

وَهَذَا يَعْنِي: أَنَّهُ فِي الْأَزْمَانِ السَّابِقَةِ لَمْ يَكُنْ كُلُّ عَالِمٍ يَكْتَفِي بِنَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ
الْعُلُومِ وَيُرْتَقِي فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ لَدَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ فَنٍّ لِيُرْتَقِيَ فِيهِ، فَلَمْ يَكُنِ الْفَقِيهَ
فَقِيهًا فَقَطْ وَلَكِنْ إِلَى جَانِبِ الْفَقْهِ يَكُونُ التَّحْدِيثُ.

وَلِنَنْظُرِ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: فِي الْفَقْهِ نَجَدَهُ فَقِيهًا لَا
يُضَاهِيهِ أَحَدٌ وَفِي الْحَدِيثِ هُوَ كَذَلِكَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ
وَقَدْ تُوُفِيَ سَنَةَ (٢٠٤هـ-) ، فَكَيْفَ اسْتَطَاعَ هَذَا الْإِمَامُ أَنْ يُخْرِجَ أَصُولَ
الْفَقْهِ مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ عِلْمٌ مُخْتَرَعٌ أَوْ مَبْتَدَعٌ وَلَكِنَّهُ
اسْتَخْرَجَ أَصُولَ الْفَقْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكَيْفَ اسْتَطَاعَ هَذَا الْإِمَامُ فِي
هَذَا الْعَمْرِ الْقَصِيرِ أَنْ يُخْرِجَ لَنَا فِقْهَ الشَّافِعِيِّ وَالَّذِي اسْتَقَى مِنْهُ آلَافٌ

العلماء علمهم وصنفوا فيه، وفي التفسير ومُصطلح الحديث(تصحيح الأحاديث)، وقد أخرج أعظم العلوم التي انتفعت بها الأمة انتفاعاً عظيماً وهو أصول الفقه، فمن غير أصول الفقه لا يُفهم الفقه، ومن غير أصول الفقه لا يمكن تدبر القرآن، وكذلك الأحكام، فهو علم من أخطر وأصعب ما يكون فهو يُبين الدين كله.

فكذلك كان العلماء من السلف الصالح ممن سبق عصر ابن الجوزي ولهذا فإنه يتكلم عن علماء زمانه وينتقدهم فيقول: إن الرغبات فترت في العلم فصار صاحب الحديث يقتصر على ما علا من إسناده ويُعرض عن الفقه فلو وقعت مسألة في الطهارة لم يهتد لجوابها، وصار الفقيه يقتصر على ما كتب في التعليقات ولا يدري هل الحديث الذي بنى عليه الحكم صحيح أم لا، وصار اللغوي يشتغل بحفظ ألفاظ العرب ولا يلتفت إلى الفقه.

(فكيف لو جاء ابن الجوزي إلى زماننا ورأى ما نحن فيه).

لقد جعل ابن الجوزي رفع العلم على أحوال منها قبض العلماء ومنها أيضاً الاهتمام بالدنيا (دنو الهمة والاهتمام بسفاسف الأمور) ومنها أيضاً أن يشتري الإنسان بآيات الله ثمناً قليلاً فيبيع دينه بعرض من الدنيا (وهو أنا إذا وجدنا العالم المتقن قد مال إلى الدنيا وتشاغل بخدمة السلاطين، والتردد إليهم غير أمر بالمعروف ولا ناهٍ لهم عن منكر، وانعكف على اللذات، وربما مزجها بحرام كلبس الحرير، لم يبق لعلمه نور عند المقتبس).

وهذا النوع يمكن أن يبيع دينه فيفتي بالفتاوى الخاطئة لمجرد إرضاء
الأمراء والسلاطين والوزراء ولا يقول كلمة الحق (لقد اشترى الدنيا وباع
الأخرة) هؤلاء هم علماء السلطة.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ (المتوفى : ٥٤٤هـ): وقد وجد ذلك في زماننا، كما
أخبر به، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
قَالَ الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ: قلت: هذا قوله مع توفر العلماء في زمانه، فكيف
بزماننا؟

قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ (البدر العيني: ٨٥٥هـ): هذا قوله مع كثرة الفقهاء
وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَالْمُحَدِّثِينَ الْكِبَارِ فِي زَمَانِهِ، فَكَيْفَ بِزَمَانِنَا
الَّذِي خَلَّتِ الْبِلَادُ عَنْهُمْ، وَتَصَدَّرَتِ الْجُهَّالُ بِالْإِفْتَاءِ وَالتَّعِينِ فِي الْمَجَالِسِ
والتدريس في المدارس؟ فنسأل السلامة والعافية.
المقصود: أن كل زمان يأتي يكون ما بعده هو أسوأ منه، فقد انتقد
القاضي عياض عصره الذي سبق ابن الجوزي ثم جاء ابن الجوزي وهو
من أبناء القرن السادس فانتقد علماء عصره أيضاً ثم يأتي البدر العيني
صاحب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) والمتوفى ٨٥٥هـ، لينتقد
عصره بقوله: هذا قوله مع كثرة الفقهاء والعلماء من المذاهب الأربعة
والمحدثين الكبار في زمانه، فكيف بزماننا الذي خلت البلاد عنهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أن من علامات ظهور الجهل:

- أن يتكلم الإنسان بغير علم، فلماذا؟

لأن المتكلم في أي مسألة بغير علم هو أول من يلحقه الضرر من هذا
الكلام لأنه حمل نفسه ذنباً عظيماً **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ**

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣){[الأعراف]

ثم يلي ذلك أنه ينقل الخطأ إلى غيره، فسيعيش على هذا الخطأ وهو يعتقد أنه على صواب ولم يكتفِ بل أنه نقل جهله لغيره وهذه هي أكبر علامة من علامات الجهل (الجهل بالدين_الجهل بالعقوبة المترتبة على الكلام في دين الله بغير علم) هذا الجهل بالعقوبة أدى إلى أن الجميع الآن يتكلم بفهم أو بغير فهم، بعلم أو بغير علم، أي شخص يريد أن يتحدث في موضوع ما فإنه يلجأ إلى شبكة التواصل الاجتماعي فيحصل بعض الكلمات أو يقوم بتفريغ حلقة علم أو درس ثم ينطلق بعد ذلك ليتكلم وكأنه عالم.

يقول شيخ الإسلام أن هذا من علامات الجهل، لأن الشخص الذي يتكلم من غير علم ما هو مقصوده من وراء هذا الكلام؟ هذا دليل على الجهل البيّن لأنه أول من يُضِرّ ثم يَضُرّ الناس وسيُسأل عن ذلك يوم القيامة.

ومن علامات الساعة أيضاً التي ورد ذكرها في الحديث (الزنا). فقال: ومن ظهور الزنا ظهور اللواط وإن كان له اسم يخصه فهو شر نوعي الزنا ولكون ظهور شهوات الغي البطن والفرج هي أغلب ما يدخل الناس النار كما ذكر ذلك النبي ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، وَعَنْ سَعِيدٍ، وَأَبِي

سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ «إِلَّا النَّهْبَةَ»
أخرجه البخاري(٢٤٧٥)، أخرجه مسلم(٥٧). وفي رواية: «والتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ».

فما علاقة هذا الحديث بالعلم؟ لأن الإنسان إذا كان إيمانه عاليًا ولديه علم فلن يسقط في هذه المحرمات من زنا وشرب خمر وسرقة وفواحش، فهو لم يقع فيها إلا بالجهل، حيث أن الجهل جعل صاحبه في حالة من ضعف الإيمان فوق في هذه الفواحش، ولو كان عنده علم (والمقصود بالعلم هنا هو العلم المؤدي إلى العمل وليس علم الرواية فهذا هو المقصود بالعلم عند السلف) لأن علم الرواية والحفظ علم سهل فالكل يستطيع الحفظ ولكن السلف عندما يتحدثون عن العلم وأهميته وفضله فإنهم يقصدون العلم النافع الذي كان النبي ﷺ يستعيز من ضده (أعوذ بك من علم لا ينفع).

لقد خلق الله العباد كي يعبدوه ويؤحدوه ويُمجدهه ويُعظموه ويتبعون ما أنزل إليهم من ربهم، هذا هو الهدف الذي خلق العباد من أجله فإذا ما ضيَّع هذا الهدف وذهب من قلوب الناس وأصبحوا لا يدرون ولا يفهمون لماذا يعيشون؟ وإذا ما سُئل أحد العوام من المسلمين هل أنت تعيش من أجل العبادة وتحقيق التوحيد؟ فإنه لا يستطيع الرد وقد لا يعلم أصلًا ما معنى تحقيق التوحيد، فالتوحيد بالنسبة له مجرد قول لا إله إلا الله.

تضييع هذا الهدف هو آذان بخراب العالم، فإذا وصل الناس إلى هذه المرحلة فإن ذلك مؤشر على قرب نهاية الزمان، وانغماس الناس في الشهوات والملذات وتركهم لدين الله وعبادته يعني ذهاب العلم شيئًا فشيئًا وانتشار الجهل.

الشاهد: أن الحديث علم من أعلام النبوة حيث أن النبي ﷺ قد ذكر فيه أشياء لم تكن قد ظهرت في عهده ولكنها حدثت فيما بعد.



بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ

انتقل الإمام البخاري إلى باب آخر وهو باب فضل العلم

قال بعضهم: الفضل ههنا بمعنى: الزيادة أي: ما فضل عنه، والفضل الذي تقدم في أول كتاب العلم بمعنى: الفضيلة.

يقول ابن الملتن: وجه مناسبة التبويب أنه عبر عن العلم بأنه فضلة النبي - صلى الله عليه وسلم - وناهيك به فضلاً، فإنه جزء من أجزاء النبوة.

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ [ص: ٢٨]، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتَيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٢).

- **بقدح:** وعاء يشرب به ، -**الري:** الشبع من الماء والشراب.

- **يخرج في أظفاري:** كناية عن المبالغة في الارتواء.

- **فضلي:** ما زاد عني من اللبن، - **أولته:** عبرته وفسرته.

يسأل سائل لماذا قال النبي ﷺ عمر ولم يقل أبي بكر بالرغم من معرفتنا لسبق أبي بكر لعمر في الفضل؟

لأن مدة خلافة أبي بكر كانت قصيرة فلم يُمهله الأجل الوقت الكافي حتى ينشر ما كان عنده من العلم (مدة خلافة الصديق كانت قرابة العامين) أما عمر بن الخطاب فقد كانت مدة خلافته حوالي اثني عشر عامًا ونصف فاستطاع أن ينشر فيها العلم والدين وساس القوم وحدثت في عهده الفتوحات العظيمة، وكان من شدة حرصه على رعيته أنه كان يختبر الإيثار عند أصحابه.

عَنْ مَالِكِ الدَّارَانِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَخَذَ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ فَقَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ تَلَبَّثْ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ، اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهِدِ الْخَمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهِدِ الْخَمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ، حَتَّى أَنْفِذَهَا. فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَخْبَرَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى مُعَاذٍ وَتَلَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ، تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مُعَاذٍ فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينٌ فَأَعْطِنَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا، وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ: «إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء).

هؤلاء كانوا أصحاب النبي ﷺ فالأخلاق واحدة وكذا القلوب والفكر، فالنمط واحد لا يوجد أي خلل، فالإيثار والمحبة والخير وهضم النفس لدى الجميع، وعمر بن الخطاب رغم كل ما كان يشغله من فتوحات وتوسعات امتدت إلى مشارق الأرض ومغاربها، ورغم الاهتمام بشأن الرعية الذين وصلت أعدادهم إلى الآلاف إلا أنه أراد أن يتفقد أحوال أصحاب النبي ﷺ وهل مازالت أخلاقهم على ما تركهم عليها أم تغيرت؟ هؤلاء القوم كانوا أفضل البشر بعد الأنبياء نص الحديث على أن الله عز وجل أنعم على عمر رضي الله عنه بالعلم الغزير، وبالفعل كان لدى عمر علم غزير وقد روى الكثير عن رسول الله ﷺ كما أنه أفتى بأحكام كثيرة جدًا.



بَابُ تَحْرِيزِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَا عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ.

بوب الإمام البخاري بابًا بهذا العنوان ليبين فيه أن النبي ﷺ حرّض وفد عبد القيس عندما أتوا إليه حتى يتعلمون العلم ويُعلمونه، وهذه هي وصية أي مُعلِّم نابغ فاهم، فيكون همه هو أن يُعلِّم العلم الصحيح للناس ثم يُعلِّمونه لغيرهم.

عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْتَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكَنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» أخرجه البخاري (٦٠٠٨).

لقد أوصاهم النبي ﷺ بأن يتعلموا العلم ويعلموه وهذا هو الأمر العام ثم خصَّ الصلاة بعد ذلك بالذكر، وعطف الخاص على العام يُشعر بأهمية الخاص، فالصلاة تدخل في باب تعلم العلم ولكنه أعقب ذلك بقوله صلوا كما رأيتموني أصلي نظراً لأهمية الصلاة فهي أهم شيء في الدين بعد الشهادة (ثاني ركن من أركان الإسلام_ أول أمر يُحاسب العبد على تركه أعظم شعيرة).

والأذان: هو فرض من فروض الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتْرَجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ الْوَفْدُ أَوْ مَنْ الْقَوْمُ» قَالُوا: رَبِيعَةٌ فَقَالَ: «مَرَحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كِفَارٍ مُضِرٍّ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتَعْطَاؤُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ» وَنَهَاَهُمْ عَنِ الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُرَفَّتِ " قَالَ شُعْبَةُ: رَبَّمَا قَالَ:

«النَّقِيرِ» وَرَبَّمَا قَالَ: «المَقِيرِ» قَالَ: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ» أَخْرَجَهُ
البخاري (٨٧).

- **أترجم:** أعبر للناس ما أسمع منه، - **شقة بعيدة:** سفر بعيد.

جاء جماعة من الناس إلى النبي ﷺ من مكان بعيد.

- وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ: - **الْوَفْدُ:** جَمْعٌ وَافِدٍ، وَهُوَ الَّذِي أَتَى إِلَى الْأَمِيرِ بِرِسَالَةٍ
مِنْ قَوْمٍ، وَقِيلَ: رَهْطٌ كِرَامٌ.

- وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَبُو قَبِيلَةٍ عَظِيمَةٍ تَنْتَهِي إِلَى رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ
عَدْنَانَ، وَرَبِيعَةُ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي مَقَابِلَةِ مُضَرَ.

- **غَيْرَ خَزَايَا:** بَفَتْحِ الْخَاءِ جَمْعُ خَزْيَانَ، مِنْ الْخَزْيِ وَهُوَ الذُّلُّ وَالْإِهَانَةُ،
- **وَلَا نَدَامَى:** جَمْعٌ نَدَمَانَ بِمَعْنَى نَادِمٍ، قِيَّاسٌ.

- **نَادِمِينَ:** اَزْدِيَّوًا لِلْخَزَايَا، وَالْمَعْنَى مَا كَانُوا بِالْبَاتِيَانِ إِلَيْنَا خَاسِرِينَ
خَائِبِينَ؛ لِأَنَّهُمْ مَا تَأَخَّرُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا أَصَابَهُمْ قِتَالٌ وَلَا سَبٌّ فَيُوجِبُ
اسْتِحْيَاءً أَوْ افْتِضَاحًا أَوْ ذُلًّا أَوْ نَدَمًا.

(لقد دخل عليهم النبي ﷺ من باب الترحاب وإعطاء القدر) وهذا فقهاً

فعندما يأتيك شخص ذو قيمة بين الناس أو عزيز في قومه فلا بد أن يكون
أسلوب الترحيب به أسلوب مختلف فننزل الناس منازلهم.

ولا ندامى: لأن أعمالكم ستكون كلها خير حيث أن مجيئكم والمشقة التي
تحملتوها من أجل تحصيل العلم عن رسول الله ﷺ سوف تعود عليكم
بالخير كله.

وكذلك كل من تعب في تحصيله للعلم فلن يندم لأن ربنا هو الشكور الذي
يُعطي الكثير جداً في مقابل العمل القليل (المذاكرة_البحث

_التركيز_الكتابة) كل هذا التعب لن يضيع هباءً بل سيُجازى به في الدنيا
قبل الآخرة.

-قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ: أَيُّ فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ
-إِلَّا فِي الشَّهْرِ: مِنَ الشُّهُرَةِ، وَالظُّهُورِ
-الْحَرَامِ: وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ، لِأَنَّ الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ أَرْبَعَةٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو
الْحِجَّةِ، وَمَحْرَمٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبٌ فَرَدٌّ.
-وَأِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ اعْتِدَارًا عَنْ عَدَمِ الْإِتْيَانِ إِلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ.
-فَمَرْنَا بِأَمْرٍ: الْأَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ بِمَعْنَى الشَّانِ، وَاحِدُ الْأُمُورِ.

-فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِخِلَاصَةِ الْأَمْرِ: فَقَدْ طَلَبُوا مِنْهُ النَّصِيحَةَ وَهُمْ عَلَى
عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْعُودَةَ قَبْلَ انْتِهَاءِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَهُوَ
لَيْسَ لَدَيْهِ الْفُرْصَةُ كَيْ يُعْطِيَهُمُ الْعِلْمَ كُلَّهُ، فَانْتَفَى بِإِعْطَائِهِمُ الْمُجْمَلَ الْمَفِيدَ
(فَقَهُ الدَّاعِي).

وهذه أسس لابد من وضعها عند القيام بأي زيارة:

- أولها: عدم خلو هذه الزيارة من ذكر الله سبحانه.
- ثم الكلمة الطيبة: فنبحث عن الكلمة الطيبة المفيدة.

- فَأَمْرَهُمْ بِأَرْبَعٍ: أَيُّ بِأَرْبَعٍ خِصَالٍ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهَا الْأَهَمُّ بِالسُّؤَالِ، وَالْأَتَمُّ
فِي تَحْصِيلِ الْكَمَالِ.

- وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَيُّ أَرْبَعٍ خِصَالٍ، وَهِيَ أَنْوَاعُ الشُّرْبِ بِاعْتِبَارِ
أَصْنَافِ الظُّرُوفِ الْآتِيَةِ.

-أَمْرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ أَيْ وَاحِدًا فِي الذَّاتِ مُنْفَرِدًا فِي الصِّفَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْأَفْعَالِ.

- قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ؟ ذَكَرَهُ تَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَى تَفْرِيعِ أَذْهَانِهِمْ لِضَبْطِ مَا يُقَالُ إِلَيْهِمْ فَيَكُونُ أَوْقَعَ فِي نَفْسِهِمْ.

- قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ: تَأْدُبًا وَطَلَبًا لِلسَّمَاعِ مِنْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ

الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، هَذِهِ هِيَ الْأَرْبَعُ الَّتِي قَالَهَا ثُمَّ أَعْقَبَهُم بِالْخَامِسَةِ وَهِيَ: وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ: فَلِمَاذَا قَالَ الْخَامِسَةَ؟ لِأَنَّهُمْ

كَانُوا أَهْلَ قِتَالٍ وَجِهَادٍ وَبِجَانِبِهِمْ أَنْاسٌ يُقَاتِلُونَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَبِالتَّالِي إِذَا

حَدَّثَ قِتَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ مِنَ الْوَارِدِ أَنْ يَنْتَصِرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَيَفُوزُوا بِالْغَنَائِمِ فَكَيْفَ يَكُونُ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا؟ فَأُظْهِرَ لَهُمْ هَذِهِ الْجَزْئِيَّةَ.

- قَوْلُهُ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ؟ قَالَ: الشَّهَادَةُ: وَهِيَ قَوْلٌ، ثُمَّ

الصَّلَاةُ: وَهِيَ فِعْلٌ، إِيتَاءُ الزَّكَاةِ: فِعْلٌ، صَوْمُ رَمَضَانَ: فِعْلٌ.

إِذِنْ هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَرُدَّ بِهَا عَلَى الْمَرْجُئَةِ الَّذِينَ

أَخْرَجُوا الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقَوْلُ أَنْ الْإِيمَانَ لَا يَتَعَدَّى قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَهَذَا هُوَ حَالُ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، عَقِيدَةُ أَهْلِ

السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ تَنْصُ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ.

وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَيْ خِصَالٍ، وَهِيَ الْإِنْتِبَازُ فِي الظُّرُوفِ الْأَرْبَعَةِ

وَالشَّرْبُ مِنْهَا.

- **عَنِ الْحَنْتَمِ:** الْجَرَّةُ مُطْلَقًا، أَوْ خَضْرَاءٌ أَوْ حَمْرَاءٌ، أَعْنَاقُهَا فِي جُنُوبِهَا، يُجْلَبُ فِيهَا الْخَمْرُ مِنْ مُضْرٍ، أَوْ أَفْوَاهُهَا فِي جُنُوبِهَا يُجْلَبُ فِيهَا الْخَمْرُ مِنَ الطَّائِفِ، أَوْ جِرَارٌ تَعْمَلُ مِنْ طِينٍ وَأُذْمٍ وَشَعَرٍ.

- **وَالدَّبَّاءِ:** وَعَاءُ الْقَرَعِ، وَهُوَ الْيَقْطِينُ الْيَابِسُ.

- **وَالنَّقِيرُ:** جِذْعٌ يُنْقَرُ وَسَطُهُ وَيُنْبَذُ فِيهِ.

- **وَالْمُرْفَتِ:** الْمَطْلِيُّ بِالزَّرْفَتِ، وَيُقَالُ لَهُ: الْقَارُ وَالْقَيْرُ.

وَرَبَّمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " الْمَقْيَرُ " بَدَلَ الْمُرْفَتِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّهْيِ لَيْسَ اسْتِعْمَالُهَا مُطْلَقًا، بَلِ النَّفِيعُ فِيهَا وَالشُّرْبُ مِنْهَا مَا يُسْكِرُ، وَإِضَافَةُ الْحُكْمِ إِلَيْهَا خُصُوصًا إِمَّا لِاعْتِيَادِهِمْ اسْتِعْمَالَهَا فِي الْمُسْكِرَاتِ، أَوْ لِأَنَّهَا أَوْعِيَةٌ تُسْرِعُ بِاللَّاشْتِدَادِ فِيمَا يُسْتَنْقَعُ؛ لِأَنَّهَا غَلِيظَةٌ لَا يَتَرَشَّحُ مِنْهَا الْمَاءُ وَلَا يَنْفِذُ فِيهِ الْهَوَاءُ، فَلَعَلَّهَا تُغَيِّرُ النَّفِيعَ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ، وَيَتَنَاوَلُهُ صَاحِبُهُ عَلَى غَفْلَةٍ بِخِلَافِ السَّقَاءِ فَإِنَّ التَّغْيِيرَ فِيهِ يَحْدُثُ عَلَى مَهَلٍ.

لماذا نهاهم النبي ﷺ عن هذه الأشياء؟ لأنه كان من عادة العرب أن يجمعون بين التمر والزبيب وينقعونهما في الماء فيصبح الماء ذا مذاق حلو في حين أن النهي جاء لأن تفاعل هذه الأشياء مع بعضها في هذه الآنية يصنع مادة مُسكرة (التخمر).

وَقَالَ: أَيُّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (احْفَظُوا هُنَّ): أَيُّ الْكَلِمَاتِ الْمَذْكُورَاتِ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ وَاعْمَلُوا بِهِنَّ، - وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ: أَيُّ أَعْلَمُوهُنَّ.

-مَنْ وَرَاءَكُمْ: أَيِّ الَّذِينَ خَلْفَكُمْ مِنَ الْقَوْمِ؛ لَتَكُونُوا عَالَمِينَ مُعَلِّمِينَ وَكَامِلِينَ
مُكَمِّلِينَ.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

